لغز عصابة الأشباح



محمود سالم

لغز عصابة الأشباح

تأليف
محمود سالم



لغز عصابة الأشباح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٥٣ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

حادث أول النهار!

أخذ «محب» يُطالب «نوسة» بالإسراع في ارتداء ملابسها، كانا على موعد مع عمهما المهندس «إسماعيل» للذهاب إلى القاهرة ... ثم إلى المطار لانتظار ابن عمهما «أحمد» الذي كان في زيارةٍ طويلةٍ لأمريكا ... كان موعدُ الطائرة العاشرةَ، ويجب أن يتحرَّكوا من المعادي في الثامنة؛ فالمسافة تستغرق نحو ساعة ونصف بالسيارة.

وبعد دقائق، تناولا إفطارهما على عجلٍ، وشَرِبا اللبن، ثم خرجا بالدراجتَين متَّجهين إلى منزل العم «إسماعيل»، ولكن عندما أشرَفا على المنزل، كان المشهد غير عاديٍّ ... فلم تكن سيارة العم «البويك» واقفةً أمام الباب كما كان متوقعًا ... أكثر من هذا كان الشاويش «علي» الشهير بـ «فرقع» يقف هناك، وقد بدا غاضبًا ومتوترًا.

وأحسَّ «محب» بقلبه ينقبض ... فمن الواضح أنَّ ثمة أحداثًا غير عاديةٍ تجري أمام «الفيلا» ... هل حدثت سرقة؟

هكذا حدَّث نفسه ... وكذلك فعلت «نوسة» التي قالت: تُرى ماذا حدث؟

محب: ربنا يستر ... ولكن ثَمَّة شيء غير سارٍّ في انتظارنا.

وقف «محب» و«نوسة» أمام الشاويش.

وقال محب: صباح الخير يا حضرة الشاويش ... ماذا حدث؟

صاح الشاويش غاضبًا: ما لكَ وما حدث؟ من أين أتيت؟ ولماذا أتيت؟

محب: سببٌ بسيطٌ جدًّا يا شاويش ... هذه «الفيلا» مِلكٌ لعمِّي المهندس «إسماعيل» ... وكنت قادمًا لزيارته.

الشاويش: زيارة في السادسة والنصف صباحًا؟

محب: نعم ... كنَّا ذاهبين إلى المطار معه!

الشاويش: إنني ...

وقبل أن يُكمل الشاويش عبارته، ظهر المهندس «إسماعيل» وخلفه زوجته ... وقال: صباح الخير يا «محب» ... صباح الخير يا «نوسة» ... قال «محب» و«نوسة» في نَفَسٍ واحد: صباح الخير ... ماذا حدث؟ ابتسم المهندس «إسماعيل» وقال: خيرٌ إنْ شاء الله ... لقد سرَق أحد اللصوص سيارتي!

ذُهل «محب» لحظات وقال: سرقها؟! كيف؟

إسماعيل: لا أدري ... خرجتُ في السادسة تقريبًا؛ لتجهيزها للرحلة ففوجئت أنها ليست موجودةً في «الجراج».

محب: والبواب ... أين البواب؟

إسماعيل: لسوء الحظ ... سافر أمس إلى بلدته لزيارة أمه المريضة، ولم يَعُد حتى الآن ...

محب: وهل كان باب ...

قاطعه عمُّه قائلًا: لا وقت للأسئلة الآن ... فالوقت ضيقٌ، ويجب أن أذهب؛ لألحق بالطائرة ... سأمرُّ على والدك لآخذ سيارته ...

محب: إذن سأبقى هنا؛ لأُتابع التحقيق مع الشاويش.

وتبادَلا التحية مع عمهما وزوجته ... ودخلا إلى «الجراج» حيث كان الشاويش مُنهمكًا في البحث ...

سأله «محب»: عن أيِّ شيءٍ تبحث يا شاويش؟

الشاويش: أبحث ... إنني أبحث عن آثار اللص.

محب: داخل «الجراج» ... هل تتصوَّر أنه نسي حذاءه أو منديله ... زمجر الشاويش غاضبًا وقال: لا تتدخل في عملي ... إنها ليست أول سيارة تُسْرَق؛ فعندنا كشفٌ بخمس سيارات أخرى.

محب: إذن هذه ظاهرةٌ وليسَت حالة فردية.

الشاويش: نعم ... ومجموعة مكافحة سرقة السيارات تقوم بتحريات واسعة حول هذه الظاهرة ... وبالطبع سوف أُبلغهم بهذه السرقة!

أخذ «محب» يتأمَّل باب «الجراج» ... كان قِفله مكسورًا، وواضح أن اللصَّ قد استخدم «أجنة» حديدية في عملية الكسر ... وقال لنوسة: هل لاحظتِ أن القفل مكسور؟

نوسة: نعم ... وقد كُسِرَ بقطعةٍ من الحديد!

محب: نعم ... ويُسمُّونها «أجنة»، وهذا يعني أنه لصٌّ عنيف!

دَوَّنَ الشاويش بعض الملاحظات في «أجندته» ... ثم انصرف، في حين دخل «محب» إلى «فيلا» خاله، واتَّصل بـ «تختخ» و«لوزة» و«عاطف»، وطلب منهم الحضور إلى «الفيلا» ... ولم تمضِ ربع ساعة حتى كان المُغامرون الخمسة يَدرسون السرقة من كل جوانبها ...

كان «الجراج» مكونًا من غرفة واحدة مُستطيلة في الجانب الأيمن من «الفيلا»، وبجواره غرفة البواب ... وهناك باب يُفتح بين غرفة البواب و«الجراج» ... وكان الممر أمام «الجراج» مُغطًّى بالبلاط حتى نهاية الممر الذي يَنتهي بباب على الشارع ... وكان من الصعب البحث عن آثار أقدامٍ على البلاط ... فقد كانت هناك عشرات الأقدام مختلطة ومُتشابكة ... كما أن البلاط كان من النوع المنقوش، وبه تعاريج بارزة إلى الخارج ...

كان واضحًا أنَّ السيارة سُرقت ليلًا ... وأنَّ اللص من مُحترفي السرقة؛ لأنه استخدم «أجنة» في كسر القفل الضخم الذي يوضع على باب «الجراج» ... ولأنه استطاع إدارة السيارة وهي من طراز «بويك»، وهي سيارة لا تَسهُل سرقتها.

لم يكن أمام المغامرين الخمسة شيءٌ يفعلونه ... فركبوا دراجاتهم وذهبوا إلى حديقة منزل «عاطف» حيث بدءوا مناقشة واسعة، استهدفت معرفة ماذا سيفعل اللص بالسيارة.

قال «تختخ»: هناك أنواع من لصوص السيارات ... بعضهم يأخذ السيارة لتغيير معالِمها ... فهو يُغيِّر لون السيارة، وأرقامها، ويُزوِّر رخصة قيادة، ثم يبيعها على أنها مِلكُه، وهؤلاء عادة من العصابات التي تخصَّصت في سرقة السيارات. وهناك لصوصٌ محترفون يسرقون السيارات ليجرِّدوها من الأجهزة، وقطع الغيار الغالية بها ... مثل جهاز الراديو والتسجيل ... والإطارات، وبعض أجزاء المحرِّك السهلة الفك والخلع، وهم يتركون السيارة بعد ذلك في بعض المناطق البعيدة، وهؤلاء أقل خطورةً من النوع الأول ... وهناك لصوصٌ يسرقون السيارة لمجرَّد ركوبها ... والتنزُّه بها هنا وهناك ثم إعادتها إلى أقرب مكان، أو تركها بعد أن يَنفد منها الوقود ... وللأسف الشديد أنه لوحظ أن بعض الطلبة يقومُون بهذا النوع من السرقات.

لوزة: وماذا يحدث إذا قُبض عليهم؟

تختخ: يُحاكَمون طبعًا أمام محكمة للأحداث، وعادةً ما يودعون إصلاحيات الأحداث ... وينتهي مستقبلهم ... ومنهم من ينقلبُ إلى لصٍّ خطيرٍ!

لوزة: ولكن لماذا يفعلون هذا؟

تختخ: إنهم من مرضى النفس، وهم يُحبُّون التفاخُر والتباهي بأنهم يَملكون سيارات، أو مغامرون لا يهابون القانون، وهذا خطأٌ قاتلٌ؛ لأنهم يقضون على أنفسهم وعلى مستقبلهم

... ولو انتظروا حتى يكبروا ثم يعملون بجدٍّ فسوف يستطيعون شراء السيارة من مالهم الخاص!

نوسة: ومَنْ تظن مِن هذه الفئات الثلاث الذي سرق سيارة عمي؟

تختخ: من الصعب الآن الحكم ... ولكنني أُرجح أنهم من العصابات المتخصِّصة في سرقة السيارات ... إنَّ اللصوص الصغار يسرقون السيارات السهلة السرقة، ومن النوع الذي يسهل إدارته ... ومن أمام دور السينما أو الشوارع ... ولكن هذه السرقة تمَّت في «فيلا»، وتمَّت ليلًا، وفي الأغلب في ساعةٍ متأخِّرةٍ من الليل؛ لأن عمَّك كما أعلم يسهَر كثيرًا في عمله ... ثم إن السيارة من طراز «بويك» وهي سيارةٌ أمريكية قوية، ومن الصعب فَتحها وإدارتها، مما يؤكِّد أنَّ اللص أو اللصوص من مُحترفي سرقة السيارات.

لوزة: وماذا تتصوَّر دورنا في هذه العملية؟

تختخ: سنقوم بجولاتٍ حول المعادي، وفي الأماكن المتطرِّفة، لعلَّنا نجد السيارة، وفي نفس الوقت نُريد أكبر كمية من المعلومات من الشاويش «علي».

محب: من الواضِح أنه لا يُريد أن يتعاون معنا.

تختخ: إنَّ عمك، باعتباره صاحب المصلحة يُمكنه أن يحصل على ما يُريد من المعلومات منه ... وهناك نقطتان هامتان في هذه السرقة ...

والتفت المُغامرون إلى «تختخ» مُستفسِرين فاستكمل حديثه قائلًا:

أولًا: حكاية غياب البواب في تلك الليلة ... هل كان عذرُه في السفر إلى بلدته حقيقيًّا أو مُفتعلًا ... بمعنى آخر هل اتَّفق مع العصابة على هذا الغياب؛ ليُخلي لهم الطريق أو أنه سافر بسبب مرض والدته كما قال ... إذا عرفنا الحقيقة فإنها قد تُقرِّبنا من معرفة معلوماتٍ جديدة هامة ... النقطة الثانية هي ما قاله الشاويش «علي» لـ «محب» ... لقد قال له إنَّ هناك خمس سيارات أخرى مسروقة ... وهذا يعني أننا أمام ظاهرةٍ، وليس أمام حالة فردية ... وكما تَعرفون أن الظاهرة تعني تكرار وقوع حدثٍ مُعيَّنٍ بشكلٍ مُستمرٍّ ...

لوزة: أريد أن أفهم أكثر!

تختخ: مثلًا إذا مرض شخصٌ بالحُمى في المعادي، فهذا حدثٌ فردي ... ولكن إذا مرض عشرة أشخاص أو أكثر بنفس المرض، فهذه ظاهرة مرضية.

لوزة: الآن فهمت!

تختخ: ومعنى هذا أننا سنُقسِّم أنفسنا إلى مجموعات، كل مجموعةٍ تتجه إلى منطقةٍ معينةٍ للبحث عن السيارة ...

وقبل أن يُكمل «تختخ» جملته ظهر الشاويش «علي» على باب الحديقة، كان واضحًا أنه مُرهَقٌ … وأنه عصبيٌّ … وعلى استعداد للدخول في معركة كلامية مع المغامرين … والتفت المغامرون إليه، وهو يتَّجه إليهم، وهو يعبث بشاربه.

حوار مع الشاويش!

قال «محب»: هناك نوعٌ رابع نسيته يا «تختخ» من لصوص السيارات، إنهم اللصوص الذين يسرقون سيارة؛ ليستخدموها في عمليةٍ غير قانونيةٍ ... ثم تشغيلها فترة لحسابهم ... أو للقيام بسرقة، أو نقْل مسروقات بها ... أليس ذلك صحيحًا؟

تختخ: نعم ... معك حق ... لقد نسيت!

تدخَّل الشاويش في الحديث الذي سمع طرفًا منه وقال: هل توصلتُم إلى شيء؟

محب: لا يا شاويش ... مجرد استنتاجات.

الشاويش: ما هي؟

محب: إننا كنا نتحدَّث عن أنواع لصوص السيارات.

الشاويش: هناك أنواع كثيرة من هؤلاء اللصوص.

تختخ: لقد حصرنا أربعة أنواع!

الشاويش: ربما كانوا أكثر!

تختخ: المهم يا شاويش ... ماذا وصلت إليه أنت؟

الشاويش: لا شيء تقريبًا ... إنهم لصوصٌ مهَرة ... لم يتركوا أي أثرٍ خلفهم.

تختخ: وما هي أنواع السيارات المسروقة؟

الشاويش: إنها كلها من السيارات الكبيرة.

تختخ: هذه ظاهرةٌ ملفتةٌ للنظر ... ألم تجدوا سيارة واحدة من هذه السيارات؟

الشاويش: عثرنا على ثلاث سيارات حتى الآن.

تختخ: عظيم ... ألم تكن هناك أيُّ أدلة تقود للبحث عن اللصوص؟

والشاويش: أبدًا ... لا بصمات ... ولا شهود ... ولا آثار.

تختخ: شيء عجيب!

الشاويش: عجيب جدًّا!

كانت «لوزة» قد أحضرت الشاي للشاويش ... وبعد هذه المناقشة الهادئة، أخذ مزاجُه يصفو ويتحسن ... وأحسَّ المغامرون أنه من الممكن الاستفادة من معلوماته ...

فقال «عاطف»: وماذا تظن أنت شخصيًّا يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: إن فرقة مكافَحة سرقة السيارات، وهي تضم ضباطًا من أذكى الضباط ... وعندهم وسائل كثيرة للبحث والتحرِّي لم تصل إلى شيءٍ ... فماذا سأفعل أنا؟

كان مع الشاويش كل الحق فيما قال ... ماذا سيفعل وحده أمام هذه الظاهرة الإجرامية ... سرقة ست سيارات من الحجم الكبير ...

هكذا فكَّر المغامرون الخمسة ...

وقال الشاويش فجأة: إحدى السيارات كانت سيارة نقْل!

التفت إليه المغامرون بانتباه ...

وقالت «نوسة»: سيارة نقل ... إنَّ هذا يحدد نوع اللصوص!

لوزة: ماذا تقصدين يا «نوسة»؟

نوسة: إنهم يستخدمون السيارات في السرقة ... فليس هناك لصٌّ يَسرق سيارة نقل للتنزه بها!

تختخ: هذا احتمالٌ كبير.

والتفت «محب» إلى الشاويش قائلًا: متى سُرقت السيارة النقل؟

الشاويش: منذ خمسة أيام ... سُرقت في الليل، حيث كان سائقها قد ذهب لزيارة صديق له حوالي الساعة الواحدة صباحًا.

تختخ: إنها ليسَت سرقة بالمصادفة ... إنَّ اللصوص كانوا يتبعونه، ومتى وجدتم السيارة؟

الشاويش: وجدها نفس السائق في الصباح قريبًا جدًّا من منزله!

تختخ: هذا يعني أن العصابة استخدمتها في عملية ما ليلًا ثم تركتها.

الشاويش: هذا ما قاله ضباط مكافحة سرقة السيارات!

تختخ: ألم تقع سرقات في نفس الليلة؟

الشاويش: حدث هذا.

تختخ: إذن هناك أدلةٌ!

الشاويش: إن رجال المكافحة ربطوا بين سرقة السيارة، وبين سرقة كمية ضخمةٍ من مواسير الرصاص والنحاس من مخزن إحدى الهيئات الحكومية، وقد وجدوا آثار السيارة في نفس المكان، وقد استجوبوا عشرات الشهود، ولكنَّ أحدًا لم يستطع تذكُّر هذه السيارة، ومن الذي كان يقودها.

تختخ: شيءٌ مدهشٌ ... إنهم بالطبع ليسوا عصابة من الأشباح.

ضرب الشاويش جبهته بيدِه كأنه تذكَّر شيئًا هامًّا. وقال: لقد ذكَّرتني بشيء ... إن أحد شهود حادث سرقة السيارة النقل قال إنه شاهد شبحًا!

التفت المغامرون الخمسة إلى الشاويش باهتمامٍ فمضى يقول: نعم ... قال إنه شاهد شبحًا ... ولكنَّ أحدًا بالطبع لم يُصدِّقه.

قال «تختخ»: وماذا كانت أوصاف ذلك الشبح؟

الشاويش: لا أذكُر بالضبط ... ولكنه قال إنه كان يسير بجوار السيارة النقل، وكانت تقف في بُقعةٍ مظلمةٍ ... فوقع منه شيءٌ أخذ يَبحث عنه ... وتحت السيارة شاهد كتلةً سوداء تتحرَّك تُشبه شبحًا ... وفزع الرجل ... فقد كان المكان مُظلمًا، وأسرع يَجري وقد نسيَ ما ضاع منه ... وعندما حضر في الصباح لإعادة البحث عَلِم بأن السيارة التي شاهد تحتها الشبح قد سُرقت ... وكان رجال مكافحة سرقة السيارات يُعاينون مكان الحادث ... وقد قال لهم ما شاهد ... وبالطبع فإنَّ أحدًا لم يَلتفت إليه، فقد ظنُّوه معتوهًا ... ولكن كلمة «توفيق» عن الأشباح أعادت كلمات الرجل إلى رأسه.

لوزة: إذن فنحن نبحث عن أشباح!

كان الشاويش قد انتهى من شرب الشاي ... فلم ينتظر لحظةً أخرى ووقف ... ثم سار في خطواتٍ واسعة خارجًا ... وساد الصمت بعد خروجه لحظات ثم ...

قال «محب»: لقد حصلنا على بعض المعلومات المفيدة من الشاويش؛ فقد أصبحنا على يقينٍ من أن عصابة الأشباح هذه تسرق السيارات؛ لتقوم بعمليات سرقةٍ بها، ثم تتركها ... ولعلَّ مما يؤكد ذلك أن السيارات التي تسرقها العصابة كلها من السيارات الكبيرة ... حيث يمكن نقل المسروقات بها ... ثم هناك حادث سرقة السيارة النقل ... إن هذه السرقة تؤكد النظرية.

عاطف: وماذا استفدنا من ذلك؟

لوزة: إنَّ أية معلومات مفيدة طبعًا لنا.

عاطف: هل سنبيع هذه المعلومات؟

لوزة: إنك لا تكفُّ عن السخرية ... ماذا تريدنا أن نفعل؟

عاطف: نقوم بالبحث في كل مكانٍ حول المعادي ... لقد سَرقت العصابة سيارة عم «محب» ... والمهم هو العثور عليها.

تختخ: إنَّ الاستنتاجات التي حصلنا عليها تُؤكِّد أننا سنَجد السيارة ... بعد يوم أو أكثر في مكانٍ ما ... دون أن يَنقصها شيءٌ ... وهذا في ذاته مكسبٌ كبير.

محب: لماذا لا نتَّصل بالمفتش «سامي»؟! إنَّ سرقة سيارة عمي سببٌ قويٌّ للاتصال ...

وافق المغامرون على الاتصال بمُفتش المباحث الكبير، وهكذا قام «تختخ» بإدارة رقم المفتش ... وسرعان ما كان المفتش يرد عليه، وتبادَلا التحيات المُعتادة ...

قال «تختخ»: إننا نأسف لإضاعة وقتك في موضوع بسيط ... ولكن من المُهم بالنسبة لنا أن نقوم بدور ما فيه.

المفتش: يُسعدني بالطبع أن أؤدي لكم أيَّ خدمة.

تختخ: لقد سرق اللصوص أمس ليلًا سيارة عم «محب».

المفتش: عم صديقكم «محب»!

تختخ: نعم.

المفتش: لقد تعدَّدت حوادث سرقة السيارات في المدة الأخيرة، وهناك عددٌ من أكفأ الضباط يُتابع هذه الظاهِرة ... وإنْ كانوا للأسف لم يصلُوا إلى شيءٍ حتى الآن!

تختخ: إننا نُريد أكبر كمية من المعلومات ... فقد نستطيع المساهَمة بشيءٍ!

المفتش: لقد أرسلوا لي ملفَّ السرقات الأخيرة ... وقد وجدنا بعض الملامح المُشتركة بين مختلف السرقات ... هل معك ورقة وقلم؟

طلب «تختخ» ورقة وقلم بسرعةٍ، ثم قال: إنَّني على استعدادٍ.

المفتش:

أولًا: جميع السيارات المسروقة ذات حجمٍ كبير.

ثانيًا: هناك فاصلٌ زمنيٌّ بين كل حادثٍ وآخر، أقلُّه خمسة أيام، وأكثره أسبوع.

ثالثًا: وقعَت كل السرقات بين الساعة الواحدة والثالثة صباحًا!

رابعًا: تركَّزت الحوادث في دائرة قسم حلوان.

خامسًا: كانت جميع السيارات بعد العثور عليها كاملة الأجزاء.

سادسًا: لوحظ عدم وجود أيِّ أدلة أو بصمات تكشف عن الجُناة، وبرغم التحريات الواسعة والجهود التي بُذلت لمُتابعة عدد كبير من لصوص السيارات المفرج عنهم حديثًا، فلم تتوصَّل أجهزة البحث إلى معلومات مفيدة.

سابعًا: وقوع سرقات كبيرة بعد كل سرقة سيارة.

تختخ: وحكاية الشبح؟

المفتش: أيُّ شبحٍ؟!

أخبار في ساعة متأخرة

صمت «تختخ» لحظات ثم قال: لقد كان عندنا الشاويش «علي» منذ دقائق وتحدَّثنا معه على السرقة، وقال إن أحد الشهود قد شاهد شبحًا تحت سيارة النقل التي كانت ضمن السيارات التي سُرِقت مؤخرًا.

المفتش: ليس بين أوراق البحث والتحريات والاستجوابات التي عندي أي شيء عن هذا الموضوع.

تختخ: ربما لم يهتمَّ ضابط مكافحة سرقة السيارات بهذه الحكاية.

المفتش: معهم كل الحق ... إنك بالطبع لا تؤمن بالأشباح.

تختخ: طبعًا لا أومن بها ... ولكنْ هناك أشباحٌ إنسانية ... أقصد بعض الأشخاص يتنكَّرون في شكل الشبح.

المفتش: وهل هناك مواصفات للشبح؟

تختخ: ليسَت مواصفاتٍ ثابتة بالطبع، ولكن كلمة شبح تُثير في الذهن فكرة رجلٍ يلبس السواد.

المفتش: إذن عليكم البحث عن رجل يلبس السواد، أو شبحٍ كما تقول.

قال «تختخ» ضاحكًا: إنني لا أتصوَّره رجلًا واحدًا ... أو شبحًا واحدًا. إنهم مجموعة من الأشباح.

المفتش: إذا صَحَّتْ نظريتك، فستكون أولَ مَن يقبض على عصابة من الأشباح.

تختخ: أرجو أن نَحصُل على معلومات جديدة.

المفتش: إذا جَدَّ جديد ... فسوف أتَّصل بكم.

أخذ «تختخ» يتأمَّل الورقة التي كتبها، ثم قرأها على بقية المغامرين، وبعد أن استمعوا بانتباه مرَّت فترة صمت، وقال «محب»: إذن ... فسوف تتمُّ إحدى السَّرقات بواسطة سيارة عمي!

عاطف: نعم ... لُقطة!

لم يَضحكْ أحد ... فقد كانوا جميعًا مشغولين بالتفكير في السرقة القادِمة متى تحدُث؟ وأين تحدث ... ومتى يتمُّ العثور على السيارة؟

قالت «لوزة»: إنَّني مُتضايقةٌ ... من بقائنا هنا ... يجب أن نتصرَّف فورًا.

نوسة: هيَّا نقُم بجولة بالدراجات.

وافق الجميع، وقفزوا إلى دراجاتهم ... وانطلقوا إلى طريق الكورنيش ... كان ذهن «تختخ» مشغولًا بفكرة الشبح التي لم تَلفت انتباه رجال الشرطة ... ولكن كيف العثور على الشبح والأشباح.

وأخذ يتصوَّر أنه يُريد أن يتحوَّل إلى شبحٍ ... فماذا يفعل؟ يرتدي ملابس سوداء ... أولًا ... وحذاءً أسود من المطاط الخفيف؛ لأنَّ الأشباح خفيفة الخَطْوِ طبعًا ... ثم تبقى مسألة الوجه واليدين ... مسألة اليدين سهلةٌ، يحلُّها قفازٌ أسود ... أمَّا الوجه فعليه ارتداء قناع أسود، أو يُصبَغ بدهانٍ أسود ... القناع أفضل؛ لأنَّ من السهل خلعه ... أما الدهان فقد يَقتضي وقتًا وجهدًا ...

هكذا أخذ «تختخ» يفكر ... ووصلوا إلى الكورنيش ... وقرَّروا أن يستريحُوا قليلًا، وبجوار عربة صغيرة من عربات الترمس جلسُوا ... واشترى «تختخ» كالعادة كمِّية من الترمس ... ووزع على المُغامرين جزءًا منها ... واحتفظ لنفسه بالجزء بالأكبر ... وأخذ يَلتهمُه دون أن يستمع إلى كلمة واحدة من أحاديثهم ... كان ذهنُه مشغولًا بفكرة الأشباح ... وفمُه مشغولًا بالترمس.

وانتهى من أكل الترمس، ولم يَعُد عندهم ما يفعلونه ... فقرَّروا العودة إلى منازلهم على أن يتَّصلوا تليفونيًّا، إذا جَدَّ جديدٌ.

عاد «تختخ» إلى منزله ... دخل غرفته ... وتمدَّد على فراشه، وأخذ يُفكِّر ... هل عندهم لغزٌ حقيقي؟ أو هي مجرَّد سرقةٍ عادية تتم كل يوم؟ وهل موضوع الأشباح يستحقُّ البحث والدراسة والتحري أو هو مجرَّد وهْم، أو خداع بصرٍ حدث للشاهد الوحيد في هذه السلسلة من السرقات ... ولم يُمضِ وقتًا طويلًا في التفكير، فقد دعَوه للعشاء ... ووجد

ضيفًا تذَكَّره على الفور … فقد كان صديقًا قديمًا لوالده يعمل في الخارج. وصافَحَه بحرارة وقال الرجل: كيف حالك يا «توفيق»؟! أما زلْتَ مشغولًا بالألغاز والمغامرات؟

أجاب «تختخ»: نعم!

وقالت والدته: يبدو أنه لا يشترك في ألغاز هذه الأيام؛ فهو يبدو كسولًا!

تختخ: هناك لغزٌ … ولكن المشكلة أنه يخرج عن حدود الألغاز العادية التي نشترك فيها … فليس عندنا أدلةٌ … سوى شبحٍ يُقال إنه ظهر في مكان الحادث.

ضحك الثلاثة وقال الضيف: إذن فهذا لغزٌ خطيرٌ … فالأشباح لا تظهر إلا في الحوادث الغامضة جدًّا.

تختخ: وهل تؤمن بالأشباح يا عم «حسن»؟

حسن: لا طبعًا … فلم يَثبُت علميًّا حتى الآن وجود هذه الكائنات.

قال والد «تختخ»: إنَّ الأستاذ «حسن» باعتباره مهندسًا لا يَقبل مثل هذا الكلام ولا يعتقد فيه.

تختخ: أذكر أنَّ سيادتك مهندس سيارات!

حسن: نعم … وأنا أعمل الآن في شركة «رينو» الفرنسية.

تختخ: ولكن هل لك خبرة بمُختلف أنواع السيارات؟

حسن: طبعًا … إن جميع السيارات تتشابه في المحرِّك من حيث هو مجموعة من الآلات تحول طاقة البنزين أو السولار إلى حركة.

تختخ: وكيف تَختلِف سيارة عن سيارة أُخرى؟

حسن: في طاقة المحرك وقوته من الناحية الميكانيكية، وفي شكل السيارة من الناحية الخارجية.

تختخ: ومن ناحية الأمان؟

حسن: إن جميع السيارات تُصَمَّم بحيث تُوفِّر أكبر قدر من الأمان.

تختخ: أقصد تأمينها ضد السرقة!

ضحك المهندس «حسن» وقال: وأيضًا ضد السرقة … وبرغم هذا تحدُث سرقات في جميع أنحاء العالم!

تختخ: وهل هناك سياراتٌ سهلة السرقة … وسيارات من الصعب سرقتها؟

حسن: نعم … طبعًا من المعروف أنه من الصعب سرقة سيارة «مرسيدس» أمريكية الصنع، فهذه السيارة لا يُمكن إدارتها إلا بمفتاحها الخاص.

دقَّ قلب «تختخ» بعنفٍ، وقال: سيارة «بويك» مثلًا.

حسن: لا بد من مفتاحها الخاص.

تختخ: ألا يُمكن إدارتها بطريقة أخرى؟

حسن: مطلقًا ... لا بد من المفتاح الأصلي ... أو مفتاح مُقَلَّد من المفتاح الأصلي ولا يمكن غير هذا.

أحسَّ «تختخ» أنه عثر على شيء هام ... فما دامت سيارة الأستاذ «إسماعيل» من طراز «بويك» ومن الصعب سرقتها إلا بمفتاحها الأصلي أو بمِفتاح مُقَلَّد. فمعنى ذلك أن ثمة شخصًا أخذ المفتاح من المهندس «إسماعيل» في غفلةٍ منه، وقام بتقليده ... ولكن كيف ذلك؟

انتهى «تختخ» من طعام العشاء، وترك والده ووالدته، وأسرع إلى التليفون؛ ليتصل بالأستاذ «إسماعيل» ... كانت في رأسه أسئلةٌ محددة ... ولكن لسوء الحظ لم يجد الأستاذ «إسماعيل» في منزله ... وكانت الساعة قد بلغت العاشرة. ولم يجد فائدةً في الاتصال بالمغامرين في هذا الوقت ... وقرر أن يخرج؛ ليتمشَّى. وركب درَّاجته وأخذ «زنجر» خلفه، وسار إلى الكورنيش ...

كانت حركة المرور ما زالت مزدحمة ... فاختار أن يجلس على الكورنيش يتأمَّل الحياة حوله ... ويفكر في مسألة سرقة السيارة. وحكاية الشبح، ولم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى شاهد الشاويش «علي» يسرع بدراجته في اتجاه حلوان ... وبدون تفكير قفز هو الآخر إلى دراجته وسار خلف الشاويش ... ومضت مدةٌ والشاويش ما زال يسير ... وقرَّر «تختخ» أن يلحق به ... فقد يكون ذاهبًا في مشكلةٍ عاديةٍ لا علاقة لها بالسيارة المسروقة ... بعد لحظاتٍ لحق بالشاويش وناداه ... والتفت إليه الشاويش مدهوشًا ... ثم ركن بجوار الرصيف وسأله بحِدَّة: كيف عرفت؟

تختخ: عرفت ماذا؟

الشاويش: لا تكن ماكرًا، وتتظاهر بالسذاجة كعادتك!

تختخ: صدقني يا شاويش ... إنني لا أعرف عن أي شيءٍ تتحدث!

الشاويش: إذن لماذا أتيت خلفي؟

تختخ: كنتُ أجلس على الكورنيش ... ولم يكن عندي شيء أفعله، فرأيتك تسرع بدراجتك، فظننت أن هناك أخبارًا جديدة. سكت الشاويش لحظة كأنه يُحاول تصديق ما يُقال ... ثم عبث بشاربه كعادته وقال: هناك أخبارٌ جديدة ... ولكن لستُ متأكدًا بعد.

تختخ: بخصوص السيارة؟

الشاويش: نعم ... لقد أبلغ أحد المرشدين الذين نتعامل معهم أنه شاهد سيارةً تنطبق عليها أوصاف سيارة الأستاذ «إسماعيل» تقف عند حافة المزارع قرب كوبري حلوان ... وهي مهجورةٌ ... لقد اتصل تليفونيًّا فاتصلت بالجهات المسئولة ... وقررتُ أن أسبقهم إلى هناك.

تختخ: هل يمكن أن آتي معك؟

فكر الشاويش لحظات ثم قال: مُمكن.

شعاع ضئيل من النور

اقتربا من الكوبري العالي، وقد تكاثف الظلام، ولمعت أنوار سيارات النقل التي تعمل ليلَ نهار بين منطقة حلوان الصناعية والقاهرة ... وعلى الجانب الأيسر من الطريق عند حافة المزارع شاهدا الخطوط الخارجية لهيكل سيارة تقف وحيدة، مُطفَأَة الأنوار ... اقتربا منها ... كانت السيارة من الطراز الأمريكي الكبيرة ... ولم يكد «تختخ» يقف ويقرأ نوع السيارة حتى أدرك أنها ليسَت سيارة الأستاذ «إسماعيل».

قال على الفور للشاويش: إنها ليست السيارة المسروقة.

قال الشاويش بضيقٍ: من أين عرفت؟

تختخ: إنها سيارةٌ من طراز «بونتياك» ... والسيارة الأخرى من طراز «بويك».

الشاويش: سأرى ماذا وراءها.

وحاول «الشاويش» أن يفتح باب السيارة فوجده مُغلقًا ... وحاول فتح حقيبة السيارة، ولكنها كانت أيضًا مغلقةً.

زمجر «الشاويش» متضايقًا. وقال «تختخ»: إنَّ السيارة المسروقة عادة تُتْرَك مفتوحة ... هذه السيارة ربما مُعطَّلة فقط.

كان ضيق «الشاويش» قد بلغ أقصاه فصاح: لا تتدخلْ في عملي ... واحتفظ لنفسك بنظريتك.

قال «تختخ» وهو يقفز إلى دراجته: حاضر.

وانطلق عائدًا إلى منزله ... وكان مُتعبًا، فسرعان ما استغرق في نومٍ عميق لم يستيقظ منه إلَّا في صباح اليوم التالي.

والتقى المغامرون كالعادة في حديقة منزل «عاطف»، وتحدَّثوا عن مغامرة «تختخ» مع الشاويش «علي» ... ثم قسَّموا أنفسهم للبحث عن السيارة المسروقة ... ومضى النهار

بدون الحصول على معلومات ... وبدأ اليأس يدبُّ في قلوبهم، فلا هُم عثروا على السيارة، ولا هُم توصَّلوا لفكرة الأشباح ... أمَّا «تختخ» فكان يفكر في شيءٍ آخر ... كيف فتَح اللصوص السيارة ما دامت من النوع الذي لا يمكن اغتصابه ... كيف حصلوا على المفتاح الأصلي. ثم صنعوا نسخة مُقلَّدة له؟ ... إن السر كله يَكمن في هذا السؤال والإجابة عنه ... ولكن من المهم العثور على السيارة أولًا لمعرفة كيفية سرقتها ... هل سُرقت بنسخة مُقلَّدة فعلًا ... أو أنها اغتُصبت بطريقة ما ... إن اللصوص لهم حيلٌ لا تنفد.

وانقضى اليوم دون طائلٍ ... وعاد كل واحدٍ من المُغامرين إلى منزله ... وكاد «تختخ» يذهب في النوم ... عندما اتصل به «محب» في لهفةٍ قائلًا: «تختخ» ... لقد عثروا على السيارة.

طار النوم من عيني «تختخ» وقال: أين؟

محب: عند ركن حلوان! وقد أخطروا عمي المهندس «إسماعيل» منذ دقائق قليلة ... وهو ذاهبٌ الآن للتعرف عليها.

تختخ: لا بد أن نذهب.

محب: ابن عمي معه سيارة صديق له ... هل تستطيع أن تخرج الآن؟

تختخ: طبعًا!

محب: إذن سنمرُّ عليك بعد عشر دقائق على الأكثر!

قفز «تختخ» ... من فراشه ... وغسل وجهه سريعًا، ثم ارتدى ملابسه في ثوانٍ قليلةٍ ... وفكر لحظات ... وعرف أنه قد يتأخر، ووالده ووالدته مع ضيفهما المهندس «حسن» في زيارة ... ومن الأفضل أن يخرج سرًّا ويعود سرًّا ... وهكذا فتح باب نافذته، ثم تعلَّق بأغصان الشجرة الضخمة التي تقف تحتها ... ثم نزل إلى الأرض.

خرج إلى الشارع ... ولم تمضِ لحظات حتى ظهرت السيارة، ثم وصلت إليه وتوقفت، وفتح له «محب» الباب ... وكانت مفاجأة أن شاهدا «زنجر» واقفًا خلف «تختخ»، ولكن «تختخ» قال له: لا مكان لك يا «زنجر» في السيارة! وأغلق الباب خلفه، وانطلقت السيارة بالمهندس «إسماعيل»، وشقيقه «فؤاد». و«تختخ» و«محب»، ولم تكن «نوسة» موجودة، وكأنما كان «محب» يقرأ أفكار «تختخ» فقال له: إن «نوسة» نائمةٌ ... ولم أشأ أن أوقظها.

تختخ: وكيف عرفتُم سرقة السيارة؟

محب: اتصل أحد ضباط مكافحة سرقة السيارات بعمِّي «إسماعيل»، وقال إنهم عثروا على السيارة في مكانٍ مهجور، في مدينة نصر، ولعلَّ اللصوص أرادوا إخفاء السيارة أطول فترةٍ ممكنةٍ!

ووصلت السيارة إلى الكورنيش، ثم صعدت إلى الكوبري العلوي الذي يصل مصر القديمة بمصر الجديد، وكانت حركة المرور هادئةً في مثل هذا الوقت من الليل، فأطلق المهندس «إسماعيل» لسيارته العنان حتى وصلوا إلى الكوبري العلوي الثاني، وساروا في طريق مدينة نصر حتى وصلوا إلى مبنى التنظيم والإدارة، فداروا خلفه، ثم انطلقوا مرة أخرى حتى وصلوا إلى شريط جديد للمترو يمتد إلى الصحراء، ويدور عند نهاية الشارع ... وتجاوَزُوه ... وبعد فترة من السير على طريق غير ممهدٍ شاهدوا مجموعة من السيارات تقف في الظلام، وقد أضاءت أنوارها ... فاتجهوا إليها ... وتركوا ضوء سيارتهم مُضاءً ثم نزلوا ... وسرعان ما كان أحد الضباط يستقبل المهندس «إسماعيل» قائلًا: حظُّك من السماء ... السيارة كاملةٌ ... ولكن لا تلمس شيئًا حتى نرفع البصمات.

المهندس إسماعيل: الحمد لله!

الضابط: إنهم لم يسرقوا منها ولا مسمارًا.

إسماعيل: لو سرقوا أي شيءٍ لكانت مشكلةً ... فليس هناك قطع غيار! ووقف «تختخ» و«محب» يتابعان الحوار ... ودخل المهندس «إسماعيل» إلى السيارة وأخذ يتفحصها ثم قال: لقد قطعوا بها مسافة طويلة! لفتت هذه الجملة انتباه «تختخ» الذي اتجه إليه وسأله: كيف عرفت؟

المهندس إسماعيل: لأنني قبل حادث السرقة بيوم واحد كنت قد شحَّمت السيارة، وغيَّرت الزيت ... وعادةً ما أكتب موعد التشحيم ورقم عداد السيارة ... لقد قطعت السيارة نحو ٦٠٠ كيلو متر!

قال «تختخ» مندهشًا: ستمائة ... إن هذا يعني سفرًا بعيدًا!

إسماعيل: نعم ... ربما إلى الإسكندرية والعودة منها، وأكثر قليلًا! نزل المهندس «إسماعيل» من سيارته ... وجاء خبراء البصمات، وأخذوا يرفعون البصمات من كل مكانٍ ... في حين وقف «تختخ» و«محب» يُراقبان كل شيءٍ حتى انتهى خبراء البصمات من عملهم ... وقام رجال الشرطة، بتفتيش السيارة تفتيشًا دقيقًا، والبحث عن أية آثار يمكن أن تؤدي إلى تحديد شخصية اللص أو اللصوص الذين سرقوا السيارة.

بعد ساعة تقريبًا انتهى عمل رجال الشرطة، وقاموا بتحرير محضرٍ سريعٍ ثم سلَّموا السيارة إلى المهندس «إسماعيل» ... الذي كان غاية في السعادة بعد أن استردَّ سيارته، دون أن يُسرَقَ منها شيء.

ركب «تختخ» و«محب» معه، وأخذ الثلاثة يتحاورون فيما حدث، وقال «تختخ»: ماذا تفعل عندما تذهب بسيارتك إلى التشحيم، وتغيير الزيت، هل تنتظر في محطة الخدمة أو تتركها؟

المهندس إسماعيل: إنَّ التشحيم والتنظيف وتغيير الزيت يَستغرق وقتًا طويلًا … خاصة أن السيارات كثيرة، والمحطات مزدحمة، لهذا فإنني أترك السيارة في محطة الخدمة وأعود لأخذها في آخر النهار وبعد انتهاء عملي!

تختخ: إن هذا شيءٌ هامٌّ؟

إسماعيل: لماذا؟

تختخ: إن سيارة من طراز «بويك» لا يُمكن سرقتها إلا بمفتاحها الأصلي أو نسخةٍ منه … هذا هو رأي الخبراء.

إسماعيل: وهذا صحيحٌ.

تختخ: عندنا إذن احتمالٌ أن أحدًا قد استولى على المفتاح الأصلي وفتح السيارة … وسرقها … ولكن المفتاح كان معك صباح الحادث!

إسماعيل: صحيح.

تختخ: الاحتمال الثاني أن يكون أحد الأشخاص قد أخذ منك المفتاح، وصنع عليه نسخة مُقلَّدة … فمن يكون هذا الشخص؟

إسماعيل: لا أعرف.

تختخ: المسألة بسيطةٌ … إنه العامل الذي أخذ المفتاح في محطة الخدمة … لقد كان معه المفتاح طول الوقت … نحو ستِّ ساعات … وهي فترةٌ كافيةٌ جدًّا لعمل نسخة مُقلَّدة من المفتاح. واستخدَمها بعد ذلك في سرقة السيارة!

ساد الصمت بعد هذا الاستنتاج المُثير من «تختخ»، ودار في ذهنِ كل واحدٍ من الثلاثة شريط من الأحداث …

وقال «إسماعيل»: يجبُ أن نُبلِّغ الشرطة بما تقول … إنه خيطٌ هامٌّ للوصول إلى السارق.

تختخ: نعم … وأرجو أن تسمح لي بفحص السيارة في الصباح.

إسماعيل: غدًا الجمعة … تفضل في أي وقتٍ.

وراء الأثر!

استيقظ «تختخ» مبكرًا، واتَّصل بالمغامرين الخمسة؛ ليلتقوا جميعًا في حديقة «فيلا» المهندس «إسماعيل» ... وعندما تجمَّعوا هناك، طلب «تختخ» من «محب» أن يُحضر مفتاح السيارة البويك ... وقام بفتح السيارة وأخذ يُفتِّش فيها بدقة ... ولاحظ أن يده اتَّسخت، وهو يتحسَّس المقاعد وغيرَها بلونٍ أسود ... أخذ يفحصُه بدقةٍ ... ولم يشكَّ لحظةً أنه تراب الفحم ... ثم ذهب إلى حقيبة السيارة وفتحها، وأخذ يتفحَّصُها جيدًا ... ولاحظ وجود آثار دهان أخضر خفيف جدًّا في بعض أنحاء الحقيبة ... كما لاحظ مرة أخرى آثار اللون الأسود ... تراب الفحم.

وبعد عدة فحوصات أخرى، جلسُوا جميعًا في الحديقة، وأحضر لهم «محب» أكواب عصير البرتقال ... وتحدَّث «تختخ» فقال: إن رجال الشرطة بالتأكيد أقدر منَّا على حلِّ لغز سرقة السيارة البويك ... ولكن عندي عدة ملاحظات ...

أولًا: إن السيارة قطعت — كما قال المهندس «إسماعيل» — نحو ٦٠٠ كيلومتر، ومعنى هذا أنها خرجت من نطاق محافظتي الجيزة والقاهرة ... فهذه المسافة تكفي للسفر إلى الإسكندرية والعودة، أو إلى المنيا والعودة ...

قاطعته «نوسة» قائلة: ولماذا لا تقطع نفس المسافة داخل القاهرة أو الجيزة؟

تختخ:

أولًا: لأن هذا يعني أنهم ساروا ست ساعات كاملةٍ بسرعة مائة كيلومتر في الساعة ... أو أنهم ساروا اثنتي عشرة ساعة بسرعة خمسين كيلومترًا في الساعة ... وهذا غير منطقيٍّ ... والمنطقيُّ أنهم خرجوا من نطاق القاهرة ...

ثانيًا: إن مفتاح السيارة تُرِكَ نحو ستِّ ساعات مع عامل في محطة الخدمة ... ولا أشكُّ لحظةً أن هذا العامل كان وراء تجهيز مفتاحٍ مُصطَنع لفتح السيارة ... فهذا النوع من السيارات — كما يقول الخبراء — لا يُمكن فتحُه بغير مفتاحه الأصلي أو بنسخة مُقَلَّدة منه.

ثالثًا: إنَّ العصابة التي سرقت السيارة لم تكن تريد سرقة أي جزء من أجزائها؛ فقد عادت السيارة سليمة تمامًا، ولم تَسرِقها بقصد النزهة بها، وإلا سُرقَت سيارة من المُمكن فتحها بسهولة، وهناك أنواع كثيرة من السيارات يُمكن سرقتها بطريقة أسهل ... والاحتمال الأكبر أنها قامت بسرقة السيارة لارتكاب سرقة كبيرة بها.

رابعًا: إنَّ وجود الأشباح ليس أسطورةً، وهم على كل حال ليسوا أشباحًا من عالمٍ آخر، ولكنهم أشخاص مثلنا يتخفون في شكل الأشباح ... فهم في الأغلب يَلبسون ملابس سوداء، ويُغطُّون وجوههم وأيديهم بتراب الفحم الأسود ... والدليل على هذا هو هذه الآثار التي تركوها في السيارة ... آثار تراب الفحم التي تُلوِّث السيارة من الداخل ... برغم أنهم — في الغالب — حاولوا مسحها ... فالآثار قليلةٌ جدًّا ...

وسكت «تختخ» وأخذ بقية المغامرين يفكرون في هذه الاستنتاجات ... وقالت «لوزة» بعد لحظات: إذن ففي إمكاننا الوصول إلى العصابة!

محب: علينا توصيل هذه المعلومات إلى المفتش «سامي» لإبلاغها إلى فريق مكافحة سرقة السيارات.

واتصلوا بالمفتش «سامي» في منزله ... وكان الرد أنه سافر إلى «أسيوط» في الصباح الباكر ... ولم يكد «تختخ» يَسمع كلمة «أسيوط» حتى أحسَّ بشيءٍ من الاضطراب ... فلماذا سافر المفتش إلى «أسيوط»؟ ... لا بد أن هناك حدثًا هامًّا، فهل لهذا الحدث صلة بسرقة السيارة «البويك»؟! إن المسافة التي قطعتها السيارة يمكن أن تذهب بها إلى «أسيوط» وتعود ... هكذا فكَّر ... ثم أبعد الفكرة عن رأسه ... فليس من الضروري أن يكون المفتِّش قد سافر إلى «أسيوط» في مهمة تتعلق بسرقة السيارة.

كان «تختخ» مستغرقًا في تفكيره حتى إنه لم يلحظ دخول الشاويش «علي» إلى المكان ... ولكنه بعد لحظات سمع الشاويش وهو يتحدث إلى «محب» طالبًا مقابلة عمه «إسماعيل».

ذهب «محب» لاستدعاء عمه، وأخذ الشاويش ينظر إلى المغامرين نظرته المملوءة بالشك ...

فقال «تختخ» فجأةً: حضرة الشاويش ... هل تَعرِف محلات لبيع الفحم في المعادي؟
كان سؤالًا مفاجئًا وغريبًا، فاحمرَّ وجه الشاويش ثم قال: لماذا هذا السؤال السخيف؟
تختخ: بعض الأسئلة لا بد أن تكون سخيفةً!
الشاويش: ولماذا تُوجِّه لي هذه الأسئلة السخيفة؟
تختخ: لأنكَ أعلم الناس بالأماكن في المعادي.
الشاويش: لن أقول لك شيئًا.
تختخ: لماذا؟
الشاويش: لأنك لستَ صاحب حقٍّ في سؤالي.
تختخ: إن الإجابة عن هذا السؤال قد تحلُّ لغز سرقة السيارة «البويك» وغيرها من السيارات، ويكون لك الفضل في ذلك.
الشاويش: وما دخل باعة الفحم في سرقة السيارات ... إنك تعبث بي ... وهذا عيب!
تختخ: لا بد أنك تُدرك يا حضرة الشاويش أن حلَّ بعض الألغاز الغامضة قد يتوقَّف على أشياء مُضحكةٍ أو سخيفة ... وبالمناسبة هل تعرف أن المفتش «سامي» قد سافر إلى «أسيوط»؟
الشاويش: طبعًا ... فهناك سرقةٌ كبيرةٌ حدثت ... هل تظن أنني لا أعرف؟
ردَّ «تختخ» وهو لا يدري إذا كان سيُصيب الحقيقة أم لا: إن السرقة تتعلق بإحدى الخزائن الكبيرة!
الشاويش: كيف عرفت؟
وقبل أن يردَّ «تختخ» ظهر المهندس «إسماعيل» وقال: صباح الخير.
ردُّوا جميعًا التحية ...
وقال الشاويش: لقد جئت لاستكمال بعض المعلومات عن سرقة السيارة.
إسماعيل: إنني تحت أمرك.
الشاويش: هل يُمكن أن نجلس وحدنا؟
إسماعيل: بالتأكيد.
واتجه الشاويش والمهندس «إسماعيل» إلى ركن الحديقة ... في حين كان المغامرون يتحدَّثون في كلماتٍ هامسةٍ.
قال تختخ: إنني أريد أن نذهب فورًا للبحث عن «محلات» بيع الفحم في المنطقة.
عاطف: لماذا؟ هل تُريد أن نشوي لحمًا، أو نتدفأ؟!

تختخ: دعك الآن من هذا الهزار … توزَّعوا على المناطق التي يحتمل أن يكون فيها هذا النوع من «المحلات»!

محب: في الأغلب سنجدها في أطراف المعادي … فليس هناك «محلات» في وسط المعادي تبيع الفحم.

تختخ: إذن توزعوا على هذه الأماكن.

نوسة: وماذا ستفعل أنت يا «تختخ»؟

تختخ: سأتحدث مع المهندس «إسماعيل» في موضوعٍ هامٍّ … وإذا حصلت على المعلومات التي أريدها … فأعتقد أننا سنكون قريبين جدًّا من حل لغز سرقة السيارة … ومن عصابة الأشباح.

لوزة: أما زلت تؤمن أن هناك عصابة أشباح؟ إن هذا مشين جدًّا!

تختخ: لقد أصبحتُ أومن بوجودها أكثر من أيِّ وقت آخر.

وتفرَّق المغامرون الخمسة بعد أن اتفقوا على التوزيع …

وظل «تختخ» مكانه حتى انتهى الشاويش من الحديث إلى المهندس «إسماعيل» ثم تقدم منه قائلًا: آسف إذا كنتُ سآخذ مزيدًا من وقتك!

إسماعيل: أبدًا … ماذا تريد؟

تختخ: أين محطَّة البنزين التي تتعامل معها؟

إسماعيل: إنَّها المحطة الأولى على اليمين في طريق المعادي … فالمحطَّة التي عندنا هنا مشغولةٌ طول الوقت.

تختخ: هل تعرف شخصًا مُعينًا تتعامل معه في المحطة؟

إسماعيل: ليس بالتحديد … ولكني أعرف وجوه الذين أتعامل معهم … وبعض الأسماء.

تختخ: هل تتذكَّر اسم العامل الذي أخذ منك مفتاح السيارة يوم ذهبت للتشحيم وتغيير الزيت؟

إسماعيل: أعتقد أنَّ اسمه كان «طلعت» أو «بهجت» … أو شيئًا من هذا القبيل!

تختخ: شكرًا لك.

وغادر «تختخ» المكان مُسرعًا، وانطلق على دراجته … كانت المسافة بين منزل الأستاذ «إسماعيل» ومحطة البنزين كبيرةً، وقدَّر أنه سيقطعها في نحو نصف ساعة … وبعد أن خرج من شوارع المعادي انطلق على الكورنيش حتى اقترب من المحطة … ووقف غير بعيدٍ

منها يُراقب العمل … ثم عبَر الكورنيش من الناحية اليُسرى إلى الناحية اليُمنى ووقف بعيدًا، وأفرغ إطار دراجته من الهواء … ثم تقدَّم وهو يسحب الدراجة إلى المحطة طالبًا نفخ الإطار بالهواء … كان يُريد بعض الوقت للحديث والتعرُّف على العامل الذي اسمه «طلعت» أو «بهجت».

طلعت ... شلفط!

اقترب «تختخ» من مضخَّة الهواء ...

وقال للعامل: من فضلك أريد أن أنفخَ عجلتي.

أجاب الرجل بصوتٍ غاضب: الماكينة لا تعمل.

لم يتردَّد «تختخ» وقال: إنني جارٌ لعامل عندكم اسمه «طلعت».

ردَّ العامل في ضيق: ليس عندنا عمَّال اسمهم «طلعت»!

تختخ: طلعت ... ألا تعرف طلعت؟!

العامل: قلت لك ليس عندنا عامل اسمه «طلعت» فلا تُضيِّع وقتي!

تختخ: وهل تتصوَّر أن أجُرَّ هذه الدراجة إلى آخر المعادي؟

العامل: هذه ليست مشكلتي.

تختخ: وأنت متأكدٌ أنه ليس عندكم عامل اسمه «طلعت»؟

العامل: وإذا فُرض أن عندنا عامل اسمه «طلعت» فماذا سيفعل لك، هل سينفُخ الإطار بفمه مثلًا؟

تضايق «تختخ» من إجابات العامل الخشنة، وأخذ يجرُّ دراجته مبتعدًا عنه، وهو يفكر في طريقة أخرى للحديث إلى عمال المحطة ... ولم تطُل حيرته ... فقد وجد ولدًا صغيرًا ممن يمسحون السيارات أو يؤدُّون خدمات بسيطة في محطات البنزين ... وخُيِّل إليه أن وجهه ليس غريبًا عنه ... وأخذ ينظر إليه بإمعانٍ في وسط ضجيج المحطة ... والتفت الولد فجأة وشاهد «تختخ» وهو ينظر إليه، فابتسم وتقدم إليه قائلًا: ألا تعرفني؟

تختخ: إنني لا أتذكر بالضبط، ولكن وجهك ليس غريبًا عنِّي!

الولد: إنني أحد طلبة مدرسة صديقك «عاطف».

تختخ: تذكرت ... لقد رأيتك تتحدَّث معه في أثناء الدراسة.

الولد: إنني أعمل في أثناء العطلة الصيفية في أعمالٍ مُختلفةٍ لمساعدة أسرتي.

تختخ: هذا شيء عظيم منك!

الولد: هل أستطيع أن أؤدي لك أي خدمة؟

تختخ: ما اسمك أولًا؟

الولد: اسمي «فهمي»!

تختخ: إنني أريد أن أنفخ إطار دراجتي.

الولد: إنَّ الضغط في ماكينة الهواء ضعيفٌ، وربما كان ذلك في مصلحتك؛ فالضغط العالي قد يفجر الإطار.

اتجها معًا إلى ماكينة الهواء.

وقال «تختخ»: اسمع يا «فهمي» منذ متى وأنت تعمل هنا؟

فهمي: منذ شهرين وخمسة أيام.

تختخ: هل عندكم عامل اسمه «طلعت»؟

فهمي: «طلعت»؟!

وأخذ يفكر وهو يُحاول نفخ الإطار ...

ثم قال: لا ... لم يكن عندنا عامل اسمه «طلعت»!

تختخ: أو أي اسم مشابه؟

فكر «فهمي» لحظات ثم قال: ربما ... ربما تقصد الولد «شلفط».

قال «تختخ» مُستنكرًا: عامل اسمه «شلفط»؟

الولد: نعم ... كان عندنا عامل «يُشلفط» كل شيءٍ ... أي يُفسده، وهكذا أطلقوا عليه اسم «شلفط» وإن كان اسمه الأصلي «موسى» ولكن ...

تختخ: ولكن ماذا؟

فهمي: ولكن هذا الولد لم يستمرَّ طويلًا في العمل، إنه لم يكن أمينًا مع الزبائن ... وعندما لاحظ صاحب المحطة ذلك طرده من العمل.

تختخ: منذ متى؟

فهمي: أمس فقط ... جاء مُتأخرًا كعادته ... وكان صاحب المحطة قد ضاق به، فلم يسمح له بالاستمرار ... وأعطاه حسابه وقال له «لا تأتِ بعد ذلك».

تختخ: إنني أريدكَ أن تتذكَّر جيدًا ... منذ ثلاثة أيام وبالتحديد يوم الأربعاء الماضي حضرتْ إليكم سيارة «بويك» داكنة اللون ... و ...

وقبل أن يكمل «تختخ» جملته ...

قال «فهمي»: أعرفها ... إنها سيارة الأستاذ «إسماعيل» عم صديقك «محب»!

رقص قلب «تختخ» فرحًا وقال: عظيم ... إنك ولدٌ لا مثيل لك!

فهمي: لماذا؟

تختخ: تذَكَّر الآن ... هل كان «شلفط» هذا هو المسئول عن تغيير زيت السيارات في ذلك اليوم؟

فهمي: نعم ... كان «شلفط» هو المسئول عن ذلك ... وقد أخذ السيارة لِقسم الغسيل خلف المحطة، ولكنه ذهب بها بعيدًا بعض الوقت ... وقد لاحظتُ ذلك، ولم يُلاحظه أحدٌ غيري ... ولم أشأ أن أضيف إلى مشاكله مع صاحب المحطة مشاكلَ جديدة ... فلم أقُلْ شيئًا!

كاد قلب «تختخ» يقفز من صدره ... إن استنتاجاته كلها صحيحةٌ حتى الآن ... وإذا استطاع العثور على هذا الولد «شلفط» فقد يتمكَّن من الوصول إلى عصابة الأشباح.

نجح «فهمي» في نفخ إطار الدراجة ... ووضع «تختخ» يده في جيبه وأخرج جنيهًا كاملًا حاول أن يعطيه لـ «فهمي» ولكن الولد رفض تمامًا ... ولم تُجْدِ معه أيُّ مناقشة ... وقرر «تختخ» أن يقابله بعد ذلك ويُعطيَه هدية مناسبة، وقبل أن يمشي «تختخ» قال له: هل تعرف بيت «شلفط» هذا؟

فهمي: لا ... ولكنه — كما أظن — يَسكن في حارة متفرعة من الكورنيش قرب ركن حلوان!

تختخ: في أيِّ ناحيةٍ منه؟

فهمي: هناك مقهى مقابل لركن حلوان مباشرة، وأظنُّ الحارة بجوار هذا المقهى، فقد طلب من بعض السائقين توصيله إلى هذا المكان بضع مراتٍ.

تختخ: إنني أشكرك جدًّا يا «فهمي» ... وسوف أراك قريبًا.

فهمي: مرحبًا بك في أي وقتٍ.

قفز «تختخ» إلى دراجته وقد امتلأت نفسه بالآمال ... وأسرع إلى المعادي، وسأل عن بقية المغامرين فلم يجد أحدًا منهم قد عاد إلى منزله ... كانوا جميعًا يبحثون عن «محلات» بيع الفحم حسب الخطة.

عاد «تختخ» إلى منزله ... كان شديد الانفعال ... غيَّر ثيابه، ثم تناول غداءه وأوى إلى فراشه ... كان في حاجة إلى الراحة لتنفيذ خطته التي قرر أن ينفذها مع «محب» و«عاطف» ... وكانت تقوم على عملية تَنكُّرٍ دقيقة، يحاول فيها الاقتراب من «شلفط».

ونام ساعةً ... واستيقظ في السادسة ... واتصل بالمغامرين ... كانوا قد حصلوا على عناوين خمسة «محلات» تبيع الفحم في أماكن متفرقةٍ من المعادي ... واهتمَّ «تختخ» بعنوان واحد منها لمحل قريب من مسكن «شلفط» كما وصفه «فهمي».

قال «تختخ» لـ «محب»: إنني أريدك أنت و«عاطف» عند ركن حلوان في الساعة الثامنة تمامًا ... سوف أشرح لكما ما سأفعله.

وفي السابعة كان يغادر منزله وقد تنكَّر في شكل صبي ميكانيكي متسخ الثياب منفوش الشعر ... ولم يركب دراجته إلا بعد أن ابتعد عن مسكنه بمسافة ... وكذلك فعل «زنجر» الذي قفز إلى مكانه خلفه بمجرَّد أن ركب «تختخ» الدراجة.

وصل إلى قرب ركن «حلوان» في الثامنة إلا عشر دقائق، وجلس في مقابل القهوة يستريح ... كانت حركة المرور في هذه المنطقة مزدحمةً على أشدِّها ... وبعض الأشخاص يجلسون على رصيف الكورنيش ... ولاحظ أن الحارة التي يسكن فيها «شلفط» أو «موسى» ضيقة ... وقال لـ «زنجر»: هل ستأتي معي يا «زنجر»؟

أخذ «زنجر» يَنبح كأنما يؤكِّد أنه سيأتي ... وبعد لحظات ظهر «محب» و«عاطف» ... واتجها رأسًا إلى «تختخ»، ولقد كان في إمكانهما طبعًا التعرف عليه برغم تنكُّره ... فيكفي وجود «زنجر» لمعرفته.

جلسا بجواره بدون أن يتحدَّثا إليه ... ولكن «تختخ» كان مُتأكِّدًا أن أحدًا لا يراقبهم، بالإضافة إلى الظلام الذي بدأ يهبط ...

فقال لهما: إنني أبحث عن شابٍّ كان يَعمل في محطة بنزين اسمه «موسى» وشهرتُه «شلفط»، وأعتقد أن هذا الشاب هو المفتاح لِلُّغز الذي نُحاول حَلَّه!

محب: وماذا ستَفعل إذا وجدته؟

تختخ: سنتبادل الرقابة عليه حتى لا يحسَّ بوجودنا ... سأبدأ أنا ثمَّ أنت ثم «عاطف» ثم أنا مرة أخرى وهكذا ... إننا نُريد أن نرصُد تحرُّكاته ... وأعتقد أنها ستقودنا إلى عصابة الأشباح!

عاطف: هل أنت مُصِرٌّ على الاعتقاد بوجود هذه الأكذوبة؟

تختخ: إنني لا أتصوَّر طبعًا أشباحًا من الظلال والهواء ... ولكن أشخاصًا حقيقيِّين يتنكَّرون في شكل أشباح.

محب: وما هي الخطوات؟

تختخ: سأدخل إلى هذه الحارة للسؤال عنه ... بدعوى أنني قادم من محطة البنزين للبحث عنه وإعادته للعمل ... فراقباني ... ويمكن أن تُطلقا «زنجر» خلفي؛ فمن السهل

عليه متابعتي، ويمكن أن تتركا دراجتي في حراسة الشرطي الذي يَجلس هناك أمام «ركن حلوان».

وانطلق «تختخ» وحيدًا ... وراقبه «محب» و«عاطف» وهو يجتاز الطريق ثم يغوص في ظلام الحارة الضيقة.

بدأ «تختخ» السؤال من أول منزل ... والثاني ... وهكذا حتى وصل إلى منزل يلعب أمامه عدد من الأولاد، فسألهم عن «موسى»، وردَّ أحدهم على الفور: ستجده جالسًا على المقهى ... إنه لا يكفُّ عن لعب «الكوتشينة».

تختخ: هل تأتي معي لتُعرِّفني عليه ... سوف أدفع لك عشرة قروش.

ووافق الولد بحماس.

مغامرة غير محسوبة!

سار «تختخ» مُسرعًا خلف الولد الصغير الذي كان يجري تقريبًا، ووصلا إلى المقهى ...

فقال له «تختخ»: لا داعيَ لأن تدخل وتكلِّمه ... أين هو؟

أشار الولد إلى شابٍّ يجلس داخل المقهى مُنهمكًا في لعب «الكوتشينة» ... فشكره «تختخ» وأعطاه القروش العشرة، ثم أسرع يعبر الطريق إلى «محب» ... و«عاطف» وروى لهما ما حدث، وقال: سأدخل إلى المقهى وفي الأغلب سأَجلس معه ... ليس في ذهني خطة معينة وعليكما المراقبة والمتابعة حسب اتفاقنا.

دخل «تختخ» المقهى، وبحث عن كرسيٍّ، وجرَّه قريبًا من «شلفط» وجلس يتفرَّج على اللعب، كان واضحًا أن «شلفط» يَخسر باستمرار ... وأنه ثائرٌ وغاضبٌ ... كان شابًّا في نحو العشرين من عمره ... غليظ الملامح ... في وجهه آثار جراح ... ويداه ضخمتان متسختان ... وكانت المجموعة التي تُحيط به من الشباب مثله ... وواضح أنهم جميعًا من نفس نوعه ومستواه ... ولم يكن «تختخ» بتنكره غريبًا عنهم ...

مضت ساعة تقريبًا، شرب «تختخ» خلالها زجاجة من المياه الغازية ... وفجأة التفت أحد الشبان إلى «تختخ» وقال له: إنني لم أركَ من قبل في هذا المكان ... من أنت؟ رد «تختخ» الذي كان قد فكَّر في ذلك من قبل:

اسمي «قورة» ... وكنتُ أعمل في محلِّ عجلاتي بالسيدة زينب، ولكن الرجل طردني ... وجئت ...

ضحك الشاب وقال: طردك لماذا؟

وغمَز بعينه كأنه يقول إنه فاهمٌ لماذا طرده.

وغمز «تختخ» أيضًا بعينِه موافقًا ...

فقال الشاب: وماذا تفعل الآن؟

تختخ: لقد أرسلني صديق يُدعى «فهمي» لُمقابلة «شلفط» لعله يجد لي عملًا في أي مكانٍ.

سمع «شلفط» اسمه، فالتفتَ إلى «تختخ» وقال: ماذا تريد؟

تختخ: لقد جئتُ من طرف «فهمي» ... أريد أي عملٍ!

فكر «شلفط» لحظات ... ثم انهمك في اللعب من جديد ... ومضت فترة، ثم ظهَر رجل ضخم الجسم في مدخل المقهى ... ونادى «شلفط» فترك هذا اللعب مُسرعًا وخرج إليه ... وبعد دقائق عاد «شلفط» ليعلن أنه لن يكمل اللعب، وبدأت معركة بينه وبين بقية اللاعبين ... انتهت بخروجه ... وخرج معه «تختخ»، وقال له: هل عندك أيُّ شيءٍ أعمله؟

نظر إليه «شلفط» طويلًا ثم قال: معك نقود؟

تختخ: قليلة!

شلفط: هاتِ ما معك!

مدَّ «تختخ» يده في جيبه، وأخرج نحو سبعين قرشًا أعطاها إيَّاه ... فقال شلفط: تعالَ معي.

ودخلا إلى الحارة، ومشيا حتى منزلٍ جديد صغير ... دخله «شلفط» بعد أن طلب من «تختخ» الانتظار ... ثم عاد بعد لحظاتٍ، وهو يحمل حقيبة صغيرة قديمة أعطاها لـ «تختخ» وسارا معًا حتى وصلا إلى الكورنيش، ولاحظ «تختخ» أن «محب» و«عاطف» ليسا في مكانهما ... وسار مع «شلفط» في اتجاه حلوان مسافة قصيرة ثم توقَّفا عند التقاء الطرق ... وبرزت سيارة من الظلام من السيارات نصف النقل، قفزا إليها وانطلقت بهما.

كانا يَجلسان مُتواجهين و«شلفط» ينظر إلى «تختخ» متأملًا ... وأحسَّ «تختخ» أنه دخل مخاطرةً غير محسوبةٍ ... وفجأةً قال «شلفط»: هل تعرف «فهمي» من زمنٍ بعيدٍ؟

تختخ: إنه قريبٌ لي.

شلفط: ولكنَّكَ لستَ من نفس المستوى ... إنه يذهب إلى المدرسة!

تختخ: أنا أيضًا ذهبت إلى المدرسة فترة من عمري ... ثم تركتُها لأعمل.

شلفط: هل تعرف إلى أين نحن ذاهبان؟

تختخ: لا!

شلفط: إن ما تراه أو تسمعه سر لا تتحدَّث به لأحد ... وإلا ...!

تختخ: لا تخف ... إنني أكتم السر.

ظلت السيارة تقطع الطريق مسرعةً حتى وصلت إلى منطقة «التِّبِّين»، ثم انحرفت ناحية الصحراء، ومضت تَرتفِع وتَنخفِض فوق الرمال والصخور حتى توقفت أخيرًا أمام

منزلٍ صغيرٍ من الحجر ... نزل السائق وبجواره الشخص الضخم الذي رآه «تختخ» في المقهى.

دخلوا جميعًا إلى المنزل وكان مُضاءً بلمبة جاز وبعض الشموع ... وفي وسط الصالة الضيقة شاهد «تختخ» ما جعل قلبه يَقفز بين ضلوعه ... خزانة حديدية خضراء من النوع الضخم ... حولها ثلاثة رجال قد بدا عليهم التعب والضيق، وكان واضحًا أنهم كانوا يُحاولون فتح الخزانة بدون جدوى.

قال واحد منهم موجهًا حديثه إلى «شلفط» لا فائدة ... هل أحضرت معك العدة؟

أخذ «شلفط» الحقيبة من «تختخ» وقال: إنها معي!

الرجل: ومن هذا؟

شلفط: إنه ولدٌ يُريد عملًا ... وقد نستفيد منه!

ثار الرجل ثورةً عنيفة ... وصاح: كيف تفعل هذا؟ إنك دائمًا تتصرف بدون إحساس بالمسئولية سنقع جميعًا في مصيبة!

كان «تختخ» يقف شبه مذهولٍ ... وقد شاهد في جانب من الصالة الضيقة صفيحةً مملوءة بتراب الفحم ... لقد أدرك أنه وقع على العصابة كلها ... وبدا كل شيءٍ واضحًا أمامه ... ولكن ماذا يفعل الآن؟!

مدَّ الرجل يده إلى «تختخ» وصاح: تعالَ هنا!

وجذب «تختخ» من ذراعه ثم جرَّه إلى إحدى الغرف، وألقاه فيها ثم أغلق الباب.

وجد «تختخ» نفسه في غرفة ضيقة ... بها نافذة صغيرة، وقد أطبق عليه الظلام، وأحس بالفئران تجري هنا وهناك في الغرفة ... فوقف مُحاولًا استعادة أعصابه ... ثم تقدم من الباب ووضع عينه على فتحة المفتاح، واستطاع بعد لحظات أن يشاهد جزءًا مما يدور في الصالة.

كان «شلفط» قد فتح حقيبته، وأخرج منها مجموعة من المفاتيح والمَطارق، وأخذ يُحاول كسر الخزانة ... وكان واضحًا أن ذلك شبه مُستحيلٍ، وقال أحد الرجال: لو كان «سعد» هنا لفتحها ببساطةٍ كما فعل من قبل مع خزائن غيرها!

قال الرجل الضخم: إنَّ الزعيم سوف يبطش بنا إذا لم نستطع فتحها، وخاصة أن رجال الشرطة يُركِّزون بحثهم الآن حول السيارة «البويك»!

لم يَعُد هناك شكٌّ عند «تختخ» أنه وصل إلى عصابة الأشباح ... ولكن ما أبعده الآن عن الوصول إلى أيِّ شيءٍ ... ومن المؤكد أن «عاطف» و«محب» فقد فقدا أثره بعد هذه الرحلة السريعة.

أخذ الدقُّ يرتفع في الصمت ... وقد حمل كل واحدٍ من الرجال مطرقةً ضخمةً وأخذ يضرب على جوانب الخزانة التي صمدت أمام الدق المتواصِل ... واتجه «تختخ» إلى نافذة الغرفة ... كانت ضيقةً ولكنها ليست عاليةً، وكانت عيناه قد أَلِفَتَا الظلام ... فشاهد في جوانب الغرفة عددًا من الصناديق القديمة، فحمل واحدًا منها بحذرٍ شديدٍ ثم وضعه تحت النافذة وصعد عليه ... واستطاع أن يصل إلى النافذة ... وأخذ يفتحها بهدوءٍ ... ولم يكن في حاجةٍ إلى الحذر ... فقد كان الطَّرْقُ على الخزانة يُغطِّي كل شيءٍ.

شاهد «تختخ» الصحراء مُمتدة أمامه ... فراغ بعيد ومتَّصل، ولا أمل في أن يصل إلى أي شيء إذا هرب ... ولكن في نفس الوقت لو انتظر فماذا سيكون مصيره؟ إن هؤلاء الرجال لن يترددوا في قتله لإخفاء مقرِّهم وشخصياتهم ... وهو الآن الوحيد الذي يستطيع أن يدل عليهم.

واستقرَّ رأيه في النهاية على الهرب ... ومهما حدث فهو أفضل من الانتظار مع هؤلاء اللصوص ... أحضر صندوقًا آخرَ ووضعه على الصندوق الأول ... وصعد على الصندوقين ... وسرعان ما كان يتدلَّى على الجانب الآخر من المنزل ثم يهبط على الرمال.

توقف لحظات يَتصنَّت ... كان صوت الدق عاليًا ... ولم يكن في إمكان الرجال أن يسمعوا وقع خطواته ... واختار أن يمشي في الطريق المضاد للطريق الذي جاءوا منه فترة، ثم يعود إلى الطريق مرةً أخرى.

مشى مُحاذرًا لدقائق، ثم أخذ يجري بدون توقف، فدار دورة واسعة حول المكان، ثم عاد إلى الطريق ... كان قد حدَّد اتجاه طريق التبِّين المرصوف بواسطة محطات الكهرباء الضخمة، وأبراج المصانع العالية.

أخذ يجري ويجري حتى أحسَّ أنه قد تعب، فجلس لحظاتٍ يستريح ... ثم مضى مرة أخرى ... ومرت ساعة قبل أن يصل إلى الطريق المرصوف فمشى فيه ... ووجد سيارةً قادمةً، فأخذ يُشير إليها ... ولكن السيارة تجاوزته مسرعةً.

أخذ يمشي وعشرات الخواطر والأفكار تدور برأسه ... لقد استطاع أن يَصل إلى حلِّ اللغز، بأسرع مما تصور ... مجموعة استنتاجات وُضِعَتْ بجوار بعضها فأدَّت إلى هذه النتيجة المدهشة ...

كان ينظر خلفه بين لحظةٍ وأخرى ... ثم شاهد مرة أخرى ضوء سيارة مُقبلة، فوقف ورفع يده إشارة لها بالوقوف ... وتوقفت السيارة، ولكنَّ المفاجأة أخطر مما تصور ... كانت سيارة العصابة ... وقفز رجلان ... وأسرعا إليه ولم يكن في استطاعته أن يجري،

فقد كان مرهقًا ... وسمع أحد الرجلين يقول: أمسكاه يا «سيد»! وانقضَّ عليه الرجلان ... وحملاه حملًا ... ثم ألقياه في السيارة ... وهبطت على رأسه ضربةً ثقيلةً ... وأحسَّ بالدنيا تدور به. ثم استسلم لغيبوبة طويلة ... ومضت السيارة تحمل «تختخ» إلى مصيره المجهول. لقد استطاع أن يهرب، ولكنه لم يستطع أن يستمر في الهرب.

على حافة النهاية!

عندما استيقظ «تختخ» أحسَّ بصداعٍ شديدٍ يفتك برأسه، وأخذ يحاول النظر حوله، ولكنَّ عينيه كانتا لا تريان ... كان كل شيءٍ ملفوفًا بالضباب ... وكل شيءٍ يدور ... أخيرًا استطاع أن يدرك ما حوله ... كان موثق اليدين والقدمين ومُلقًى في «جراج» ... فقد شم رائحة البنزين والزيت ... وشاهد سيارة واقفة في مدخل «الجراج» ...

لم يكن هناك أي صوت ... وحاول أن يتخلَّص من وثاقه فلم يستطع ... وحاول أن يفتح فمه فوجده مُكممًا.

أخذ يتذكَّر شريط الأحداث الذي مرَّ به ... منذ تعرَّفَ على «شلفط» وعرف أنه وضع نفسه في موضعٍ حرجٍ ... وألَّا أمل له في الإنقاذ. وحاول أن يعرف الساعة ... ولكن يده المقيدة خلفه منعته من أية حركةٍ. ولكنه استطاع أن يعرف أن الفجر يقترب ... فقد كان مدخل «الجراج» يُبدِي ضوءًا خافتًا ... مرَّت نحو نصف ساعة ... ثم سمع صوت أقدامٍ تقترب ... وشاهد الرجل الضخم يقترب منه ... وفضَّل أن يَتظاهر بالنوم ... وقال الرجل لشخصٍ معه: حسب تعليمات الزعيم ... لا بد من نقله فورًا إلى البئر المهجورة في طرف الصحراء ... سنُلقيه فيها!

وأحسَّ «تختخ» أنه يكاد يتجمَّد من الرعب ... وسمع الرجل الضخم يقول: لقد اكتشفنا أنه مُتنكِّر ... فقد سقطت الباروكة من على رأسه ... إنه ولد مُريب للغاية!

أدرك «تختخ» بما لا يدع مجالًا للشك أنه وقع بين أيدي العصابة، وأنه لن يَخرج حيًّا من هذه المغامرة ... ولم يكن في استطاعته أن يفعل شيئًا ... واستسلم للأيدي التي حملته ثم ألقتْه في نفس السيارة التي ركب فيها من «حلوان» منذ بضع ساعات.

خرجت السيارة من «الجراج» ... وحاول «تختخ» أن يحتفظ بأكبر قدرٍ من المعلومات عن المكان ... برغم أنه كان يُدرك أن هذه المعلومات لن تُفيده بشيء ... فهو سيَختفي من العالم كله بعد لحظاتٍ ... وأحس أنه حزينٌ ... حزين جدًّا ... فقد جاءت النهاية بأسرع مما يتوقع. سارت السيارة مسرعة جدًّا ... واجتازت الشوارع المضاءة ... حتى كادت تُشرف مرة أخرى على الصحراء ... وفجأة توقفت السيارة ... وسمع «تختخ» صوت شخصٍ يقول: الرُّخص من فضلك!

وبسرعة شاهد الرجل الضخم يُلقي عليه بغطاءٍ ثقيلٍ ليُخفيَه ... وأدرك أنهم عند «دورية» تفتيش ... كانت فرصته الأخيرة؛ ليُحاول إنقاذ حياته، وحاول أن يتحرَّك ... ولكن الرجل الضخم جلس فوقه ... بكامل ثقله حتى كادَت عظامه تتهشَّم ... وقبل أن يحاول الحركة انطلقت السيارة فجأة بشكلٍ مزعجٍ، وطارت على الأرض ... سمع صوت أشخاص يَصيحون: قف! ... قف!

كانت السيارة تسير بسرعةٍ مجنونةٍ ... وسمع «تختخ» الرجل الضخم يصيح: دَوِّرْ في أول منحنى ... أيها الغبي.

ودارت السيارة دورة واسعة، ثم دارت مرة أخرى، وبدأت تُهدئ من سرعتها. ثم سمع «تختخ» السيارة تقف ... ويقفز عدد من الرجال منها، ثم يُسرِعون بالجري.

هدأ كل شيءٍ ... وأصبح «تختخ» وحدَه في السيارة ... ثم سمع صوت سيارات تُقبِل مسرعة ... وصوت أسلحة تستعد للانطلاق ... ثم سمع صوت يقول: اخرج رافعًا يديك!

ثم تقدَّم أحدهم في الظلام، وأطلَق شعاع بطاريته سقطت على «تختخ» فصاح: هناك شخصٌ مُوثَقٌ ومُكَمَّمٌ!

وسمع صوت أقدام كثيرة ... ثم سمع آخر صوت مُمكن أن يتصوَّر أن يسمعه ... صوت المفتش «سامي» ... وحملته بعض الأيدي، وأسرعت تفكُّ وثاقه ... وشاهد على ضوء الفجر الرمادي وجه المفتش «سامي» ... وقد بدا عليه الإرهاق.

وقال المفتِّش ضاحكًا: ماذا فعلت بنفسك أيها المغامر العزيز ... إن أصدقاءك في غاية القلق عليك.

أخذ «تختخ» يتمطَّى، وقد أحسَّ بعضلاته تكاد تتيبس ... وصافح المفتش «سامي» الذي قاده إلى السيارة، وقدَّم له كوبًا من الشاي الساخن من «ترمس» كان معه.

قال «تختخ»: هل توصلت إلى لصِّ خزانة «أسيوط»؟

لمعت عينا المفتش ببريق الدهشة وقال: خزانة «أسيوط»؟! كيف عرفت؟

تختخ: خزانةٌ خضراء سُرِقت من «أسيوط»، في نفس ليلة سرقة السارة «البويك» من المعادي!

المفتش: إنك ولدٌ مُدهشٌ ... كيف عرفت؟

تختخ: لقد شاهدت الخزانة بنفسي ... كانت بالسيارة الواقفة الآن منذ بضع ساعات!

المفتش: وأين ذهبت؟

تختخ: لا أدري ... ولكني أكاد أكون قد اكتشفت كل شيء ... هل اتصل بك المغامرون؟

المفتش: نعم ... اتصل بي «محب» وقال لي إنك كنت تراقب ولدًا اسمه «شلفط»، وأنك ركبت معه سيارة التقطَ «محب» رقمها ثم غبت عن «محب» و«عاطف» ولم يَعرفا أين ذهبت بعد ذلك، ولهذا قمنا بعمل كمائن في أماكن متفرقة بعد أن عرفنا رقم السيارة وأوصافها ... وقد عثرنا عليها الآن ... وأنت فيها!

تختخ: إن العصابة التي سرقت السيارة «البويك» هي نفسها العصابة التي سرقت «الخزانة» الخضراء ... وهي نفسها عصابة الأشباح!

المفتش: الأشباح! هل تُصدِّق بوجود الأشباح؟

تختخ: إنهم أشباح صناعيون ... أقصد أشخاصًا يتخَفَّونَ في شكْل الأشباح!

وصل أحد الضباط وقال للمفتش: للأسف يا سيادة المفتش ... لقد استطاع جميع الرجال الهرب ... ولم يبقَ عندنا سوى السيارة ... فارغة!

تختخ: لا بأس ... أعتقد أني أعرف أين هم.

المفتش: إذن هيًّا بنا.

ثم التفت إلى الضابط قائلًا: ضعوا حراسة على السيارة، وليتبقَّ الباقون!

وقفز «تختخ» إلى سيارة المفتش، وطلب العودة إلى الوراء، وأخذ ينظر إلى أطراف الأبنية والأشجار وهو يتذكَّر ما احتفظت به ذاكرته من ملامح المكان الذي كان فيه حتى وصلت السيارة إلى «فيلا» ضخمة قابعة بين الأشجار ... وكان باب «الجراج» مفتوحًا، وعرفه «تختخ» على الفور وقال للمفتِّش: هذه «فيلا» زعيم العصابة!

نزل رجال الشرطة وأحاطوا بالمكان ... كان كل شيء هادئًا كأن لم تقع أية أحداث بالمكان في الليل.

دخلوا من باب الحديقة المفتوحة ... وساروا في ضوء الفجر الهادئ، وفجأة انفتح باب في نهاية الحديقة، واندفعت سيارةٌ خارجةٌ بعنفٍ شديد ودارت دورةً واسعة ثم دخلت إلى شارع مجاور، وسمعوا صوتها وهي مبتعدةٌ ... واندفعت القوة إلى سياراتها، وبدأت

المطاردة ... في حين تقدم المفتش إلى باب «الفيلا» ودقَّ الجرس ... ومضى الوقت بدون أن يردَّ أحدٌ ... وطلب المفتش من الضابط المرافق أن يَقتحم الباب ... فأطلق دفعةً من طلقات مدفعه الرشاش على الباب. ودخلوا.

شهر المفتش مسدسه، وسار مسرعًا يفتح الغرف ... ومعه «تختخ» وكانت الغرف خالية ... ثم دخلوا غرفة في نفس الطابق، وما كاد المفتش يفتح الباب حتى شاهدوا رجلًا نائمًا في فراشه ... مستندًا إلى حشايا كثيرة خلفه ... وكان واضحًا أنه مريض.

كان الرجل ينظر بثبات إلى المفتش كأنَّ الأمر لا يعنيه ...

وقال المفتش: من أنت؟

ردَّ الرجل في بساطةٍ: أنا الرجل المشلول الذي لم يَكتشِف سرَّه أحد! كانت إجابةً عجيبة وقال المفتش: من أنت بالضبط ... اسمك وعملك؟

ردَّ الرجل: اسمي «مجدي محروس»!

لم يكد المفتِّش يسمع الاسم حتى صاح: «مجدي محروس» ... «مجدي محروس» الهارب من حكم الإعدام؟

الرجل: نعم يا سيادة المفتش ... لقد هربت وكوَّنت عصابة قامت بأضخم السرقات دون أن تصلوا إليها ...

تختخ: عصابة الأشباح!

قال الرجل: نعم ... عصابة الأشباح ... فلم يستطع أيُّ رجل من رجال الشرطة معرفة رجالي ... كانوا يتخفَّون في شكل الأشباح ... وكانوا يسرقون السيارات ثم يسطون بها على الخزائن الكبيرة ... وآخر سرقاتنا كانت في «أسيوط»!

المفتش: نعم ... وكالعادة لم تتركوا أية آثارٍ تدلُّ عليكم!

الرجل: طبعًا ... ولا أدري أين الخطأ.

ابتسم المفتش لأول مرة ثم قال مشيرًا إلى «تختخ»: الخطأ أنكم سرقتُم سيارة رجل يعرف هذا الشاب الصغير!

نظر الرجل إلى «تختخ» مُندهشًا وقال: وما هو دخل هذا الشاب في مثل هذا الموضوع؟

قال «تختخ»: إنني من هُواة حل الألغاز ... وعندما سرقتم سيارة المهندس «إسماعيل» أخذت على نفسي عهدًا أن أعرف من الذي سرقها. وقد عرفت أن أحد أعوانكم ويدعى «شلفط» هو الذي أخذ المفتاح وصنع مفتاحًا مماثلًا له ... وتبعت «شلفط» ... وأقنعته أن يأخذني إلى أحد مخابئكم السرية في جبل «حلوان» ... وهناك شاهدتُ رجالك وهم

يُحاولون فتح الخزانة التي سُرِقت من «أسيوط» ... وبرغم أنهم شكُّوا في أمري وحبسوني فإن أصدقاء لي استطاعوا معرفة إحدى سياراتكم وأبلغوا المفتش «سامي» الذي قام هو ورجاله بعمل كمائن حتى وصلوا إليها.

هزَّ الرجل رأسه قائلًا: لقد هربت من حكم الإعدام، وأُصِبْتُ بالشَّلل وقُدْتُ عصابة من أقوى الرجال ... ولم أكن أتصوَّر أن يهزمني ولد صغير ...

قال المفتش: إنه ولدٌ موهوبٌ يعرف ماذا يفعل!

ووضع المفتش يده على كتف «تختخ» في حنانٍ وإعجابٍ ... في حين تقدم رجال المفتش «سامي» ... للقبض على زعيم عصابة الأشباح.


هنـــداوي